

دراسات عن عوامل نمو اللغة عند الطفل وتطبيقها
في وضع منهج تعليم اللغة العربية لغير أهلها

(رسالة) R. K. K.

Abstaksi

Bahasa adalah systemik, segenap anasirnya bukanlah merupakan kumpulan unsur-unsur yang tidak teratur, melainkan terdiri dari beberapa sub system yang saling melengkapi anantara satu dengan yang lainnya. Bahasa tumbuh berkembang secara alami dan atau melalui system pendidikan formal diajarkan di dalam kelas. Anak-anak memperoleh bahasa pertamanya dengan cara alami dengan dukungan potensi internal yang dimilikinya serta potensi bentukan eksternal dari lingkungan sosial yang memengaruhinya. Kedua potensi ini menjadi factor utama yang membentuk pertumbuhan dan perkembangan bahasa anak. Dan secara rinci faktor tersebut dapat diformulasi sebagai berikut; yaitu : factor kognitif, factor tingkat reseptifitasnya terhadap sesuatu yang stimulatif, factor tingkatan social keluarga, dan factor bentuk pergaulan yang dilaluinya dalam berinteraksi dengan lingkungan keluarganya. System pemerolehan bahasa pertama ini seperti yang dijalani oleh anak-anak dapat menjadi kajian penting dalam menentukan konsep dan kebijakan pembelajaran dan pengajaran bahasa Arab kepada yang bukan penutur aslinya. Dan hal ini sangat memungkinkan untuk dieksploitir dan diterapkan dalam menetapkan suatu manhaj pengajaran bahasa Arab pada pendidikan formal.

Language is systemic. All its elements are not a collection of the substances which are not in order, but they consist of some sub systems which complete each other. Language grows naturally and or through formal education system at school. The children acquire their first language naturally with the support of the internal potencies owned and the external potencies from the social environment influencing them. These two potencies become the main factors influencing the growth and development of a child language. Those factors can be formulated in detail as follows namely : the cognitive factor, the receptivity level factor toward something which is stimulative, the social level factor of the family, and the social intercourse factor undergone to interact with their family environment. This first language acquisition system, as the children undergo, can be an important study to decide the concept and policy of the teaching and learning Arabic Language to the non-arabic speakers. And it is quite possible to exploit and apply this system to decide a manhaj of the teaching of the Arabic Language in the formal education.

Key words : first language acquisition, non-arabic speakers

اتخذ هذا البحث لغة الطفل موضوعا له راجيا ان نستفيد منها و يفيدنا كثيرا في علاج بعض المشكلات اللغوية التي تواجهنا في تعليم و تعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها مستعينا من نظام اكتساب اللغة عند الطفل في بداية الأمر. فجعل كلمة "النمو" متغيرة من المتغيرات لهذا الموضوع لكشف ما يهمنا حول التطور اللغوي عند الطفل.

كلمة "النمو" تعبر عن مجموعة التغيرات الجسمية و البدنية من حيث الطول و الوزن و الحجم وما يصاحبها من تفاعلات و تغيرات كيميائية تحدث في الجسم. و لكن هذا المعنى للنمو يتناول عملية النمو بشكل محدد ضيق يغفل ما يصاحب هذا النمو من أنماط سلوكية و مهارات معينة تتجلى من خلال نشاط الإنسان و خبراته التي يكتسبها، و مدى قدرته على توظيف أعضاء جسمه و حواسه و باقى أجزاء جسمه. و فكرة نمو اللغة عند الطفل تقودنا الى التذكر بأن اللغة نوع من أنواع التعبير و هى تستخدم عدة الوسائل، منها الكلام وما سواه. و الوظيفة الأساسية للكلام هى اتصال المتكلم بغيره اتصالا يمكنه من الحصول على بعض ما يريد.

وكلمة "لغة" نفسها أصبحت تطلق على التعبير الصوتي أو الشفوي بالكلام والتعبير البصري أو التحريري بالكتابة. ونحن نعتذر في هذا البحث لإطالة الكلام الى الطريقة التي ظهرت بها اللغة و تطورت في تاريخ الإنسان حتى وصلت الى ما وصلت اليه. و لكن المعروف أن الطفل يولد و حوله ميراث اجتماعي له تاريخ طويل يصح أن نسميه "الميراث اللغوي". و الطفل مزود بالاستعداد

الذي يمكنه للاستفادة من هذا الميراث الاجتماعي اللغوي المنتشر حوله. و طبعا يسير الطفل خطوات حتى يعتنق الطفل نفسه اللغة كوسيلة ناجحة لفهم من حوله ما يجري في نفسه و لفهم ما يجري في نفوس من حوله.

فالوصول اللغوي للطفل يتبلور في كل الانماط السلوكية و المهارات و الخبرات التي اكتسبها في خلال حياته الاجتماعية، وهو خاضع لعوامل كثيرة و من أهمها: امكانية الطفل العقلية، و مدى إستجابات حواسه المختلفة لما يدور حوله من منبهات سمعية و

بصرية و لمسية, مضافا الى ذلك المستوى الثقافى للأسرة, وكذلك الطريقة التى يعامل بها الطفل.

و بدون شك أن كل هذه العوامل تؤثر فى نمو الطفل اللغوى بأنها تتصل بأوثق الإرتباط بالسلوك اللغوى لدى الطفل. وسنعرض كلا منها بما فيها من علاقتها مع المحصول اللغوى.

العامل الأول: امكانية الطفل العقلية.

عند بعض النفسانيين أن اللغة ليست مجرد ألفاظ تكتب أو تقال أو تسمع أو تقرأ, فاللغة لها علاقة كبيرة بالتفكير بل هى جوهر التفكير و قد قال الدكتور فاخر عاقل: "من المستحيل التحدث عن النمو اللغوى بمعزل عن النظر فى المهارات التفكيرية".¹ ولقد تناولنا فيما قال الدكتور رسلان " ان الطفل يبدأ ذهنه يدرك تنوع الأصوات التى يخرجها و يسمعها و يربط بينها و بين طرق اخراجها, فهنا تبدأ مرحلة جديدة هامة جدا فى حياة الطفل و هى مرحلة تجريبية يحرك فيها أجهزته الصوتية بأشكال مختلفة و يستمع الى نتائج هذه التغيرات و الحركات".²

فأفادنا ما سبق الحديث عنه أن الطفل قد استطاع أن يميز الأصوات التى تصل اليه هى سنة مبكرة فيدرك المعانى و ينطق الكلمات الدالة على حسب استطاعته. فالعملية العقلية عند الطفل تتطور من البداية مرتبطة بنمو الطفل اللغوى أى نمو الفكر ذاته يؤثر فى اللغة (نموها و تنطورها). كما أن اللغة تسهل الفكر و تساعد على نموه. فالتأثير المتبادل بين اللغة و الفكر أمر واقع.

فالطفل يكتسب ذخيرته اللغوية و اتسعت بما لديه من محاولة الإستزادة العقلية المعرفية. فلذلك يكثر الطفل من الأسئلة بالنسبة لكل شئ. لأنه يريد أن يعرف الأشياء

¹ . فاخر عاقل (الدكتور), علم النفس التربوى, دار العلم للملايين, بيروت: 1985, ص. 280.

² . رسلان (الدكتور), كيفية الإستفادة من دراسة اللغة عند الطفل لتعليم اللغة العربية لغير أهلها. معهد الخرطوم النولى للغة العربية, الخرطوم: 1986 ص. 69

التي تثير انتباهه و يريد أن يفهم الخبرات التي يمر بها. هذه المحاولة عينة محددة من محاولات الطفل للحصول على استزادة المهارات اللغوية. و قد قال الدكتور عبد السلام زهران: "إن الباحثين يقررون أن حوالى 10-15 في المائة حديث الطفل في المرحلة (2-6 سنوات) يكون عبارة عن الأسئلة".^٣

و تنطورت هذه الإمكانيات العقلية و تستمر في استزاد الثروة اللغوية مدى الطفل كما أنها هي تؤدي الى التحسينات اللغوية. و في حين ان اللغة لا تكون تقل أهمية بوظائفها في تكوين و تحسين المفاهيم لدى الطفل, أو بعبارة أخرى أن الطفل أصبح قادرا على معالجة المسائل اللغوية بشرط أن تكون لديه الإمكانيات العقلية و كذلك العكس وأن تكون الآراء المطلوب معالجتها داخلة في نطاق خبراته. و لا شك في أن الأطفال يختلفون في حجم مفرداتهم و قدرتهم على استعمال هذه المفردات وذلك بحسب ذكائهم و الفرص اللغوية المتاحة لهم . ومن هذا قال الدكتور مصطفى فهمي " أن للنقص العقلي أثر في اكتساب اللغة عند الطفل و في مدى قدرته على استعمالها في التعبير, و يتجلى ذلك في قلة المفردات, وفي أن الأفكار تتصل دائما بالمحسوسات مع عجز و في التواء في طريق النطق".^٤

وهذا الذكاء قد زود به الطفل منذ الولادة أو نقول إنه قدرة فطرية و مع هذا هناك عوامل بيئية مختلفة تلعب دورا هاما في إثارة هذه القدرة. و هذه القدرة تقود الطفل الى حياة ديناميكية و تجعله قادرا على اكتشاف الخبرات و المهارات. ولا يقف الأمر عند هذا الحد في الطفل (قدرته على التحدث) بل يتجاوز ذلك الى قدرة القراءة, و الكتابة عند التحاقه بالمدرسة. و تتدرج هذه القدرة مع مرور الزمان و مع انتقال الطفل من فرقة الى الأخرى. و مما يجدر ذكره هنا أن مهارة القراءة و الكتابة عمليتان مركبتان معقدتان فيجد الطفل فيهما صعوبة عند ممارستهما أكثر من مهارة

^٣. حامد عبد السلام زهران (الدكتور), علم النفس النموي, عالم الكتب, القاهرة : 1977 ص. 173

^٤. مصطفى فهمي (الدكتور), أمراض الكلام , مكتبة مصر, القاهرة : 1975. ص. 47

لغوية أخرى. وذلك يرجع الى أن هاتين المهارتين تعتمدان على بعض العادات و على التفكير معا.

و ان كل ارتقاء في تفكير الطفل و درجة فهمه يتبعه ارتقاء في تقليده و نمو في محصوله اللغوى. و بالطبع أن الارتقاء التفكيرى عند الطفل يختلف بعضهم عن بعض و ذلك يرجع الى اختلاف المواقف عند الطفل نفسه, وهذا يترتب على امكانياته في ممارسة هذه المحصولات اللغوية. فنجد أن الفروق الفردية سائدة في الأطفال فليس من الصحيح أن نقول أن القدرة التفكيرية لدى الأطفال متساوية. و يؤيد هذا جين جرامس (Jean Grams) بقوله : هناك جدل كبير تجدر علاجه فيما يتصل بمعنى العبارات القائلة بأن نسبة الذكاء (Intelligence Quotient) لدى الإنسان على حد سواء في الحقيقة نجد أن بعض الأطفال أرقى ذكاء على الآخرين. كما أن بعضهم مختلفين في عملية الإدراك.

و من هنا تتضح الفروق الفردية في الذكاء و التحصيل اللغوى عند الأطفال باختلاف الطبقات الفردية من جميع المواقف. فمن المفروض أن تكون هذه القضية تأخذ عناية كبيرة من المفكرين و التربويين و واضعى المنهج وغيرهم في معالجة مشكلات العملية التعليمية. و على المعلم أن يلم بهذه القضية في اختيار طرائق التدريس و الأساليب المناسبة في تعليم اللغة العربية لغير أهلها وذلك ألا تحمل الفروق الفردية في الذكاء و التحصيل كمشكلة من المشاكل التعليمية و التعليمية.

العمل الثانى : مدى استجابات حواس الطفل للمثيرات.

و لما كان الطفل لاسيما بعد أن يجيد الإدراك الحسى و بعد أن يتعلم مبادئ اللغة و يبدأ إدراك معانيها فإنه يحاول تغيرات سلوكية بما يتفق مع قواعد و ضرورات و متطلبات المجال الإجتماعى الذى يعيش فيه. ذلك أن اللغة سلوك لفظى يرتبط بمواقف واقعية يواجهها الطفل في حياته اليومية و يسلك نحوها سلوكا معينا.

⁵ . Jean Grams, Fundation of Teaching , An Introduction to Modern Education. Holt Renehart, London: 1964, P. 79.

و الإدراك الحسى عبارة عن إحساس له دلالة, فهناك علاقة بين الطفل و البيئة عن طريق الجهاز العصبي و المراكز العصبية. و كل ما يدور حول الطفل فى البيئة المحيطة به من منبهات سمعية كانت أم بصرية أو لمسية تثير حواس الطفل المختلفة الى ادراكها و تفسيرها و فهمها و بالتالى ترجمتها الى السلوك اللغوى عن طريق تقليد الكبار المحيطين به. و من العسير إيجاد فاصل بين الإحساسات و المنبهات التى تصل الى المخ من جهة, وما يصاحب تلك الإحساسات من معان من جهة أخرى.

فى أول الأمر يكون ادراك الطفل منحصرًا فى الأشياء و الخبرات التى تقع فى بيئته القريبة المباشرة و هى التى لها تأثير مباشر فى حياته, و هذه الحواس المختلفة هى التى تكون وسيلة فى اكتشاف كلها فيدخل العامل البصرى و العمل للمسى و السمعى فيه من حيث أن الطفل يحاول أن يربط إذ ذاك معنى الشئ المدرك بكلمة يسمعهها ثم يحاول أن يلمس الشئ المدرك و يعث به. ففى نفس الوقت إن اللغة التى اكتسبها فى اعطاء أسماء الأشياء و الأعمال تعتمد على مدى استجابات حواسه المختلفة لما يجرى حوله من منبهات سمعية و بصرية و لمسية. و بالتجريد تزداد قدرة الطفل على ادراك الموضوعات المختلفة و تتسع المحصولات اللغوية كلما اتسع اتصاله و معاملته مع البيئة الأوسع.

فتزيد حصيلته اللغوية بزيادة خبراته فى مختلف مواقف الحياة الإجتماعية, ذلك بكثرة الموضوعات التى تستجيبها حواس الطفل المختلفة. و هناك الإستعداد على الضبط الذاتى (Self Control) ينمو و يتطور بهذه المواقف و يلعب دورا هاما فى محاولة الطفل المستمرة للقيام بأدوار الآخرين و التعبير من اتجاهاتهم السلوكية و يستخدم الطفل ألفاظ هؤلاء الآخرين. فأتسعت هذه الألفاظ مع معاملته بالبيئة الأوسع.

منطلقا من المفهوم السابق أن الطفل نهج أسلوبا طبيعيا فى إكتساب اللغة أى تدريج تعلمها. وهنا نلاحظ أن يبدأ الطفل تعلم اللغة بالتراكيب اللغوية المرتبطة بمواقف حياته اليومية . و نحن نقترح الى أن يمثل المعلم هذا الأسلوب بتطبيقه فى التعلم النظامى

داخل الحجره الدراسيه . فيجعلها جوا لغويا مماثلا للحياه الواقعيه التي يستخدم فيها صاحب اللغة.

و على اى حال, فإن هذا العامل يأتى بالإسهام و التأثير الكبير فى النمو اللغوى من حيث أنه عبارة عن عمليه الموازنه بين نفس الطفل و الأشياء و الأعمال التى تحيط به, وأن يختبر كل شئ يراه. هذا يعنى أن نشاط الطفل الحيوى و قوة عزمه وإرادته, و رغبته فى الإشتراك فى الحياه يساهم فى نموه اللغوى و محصوله.

العامل الثالث : المستوى الثقافى فى الأسرة .

الأسره فى معناها كمجتمع صغير عبارة عن وحده حيه ديناميكيه لها وظيفه تهدف نحو نمو الطفل نموا لغويا و بالتالى نموا إجتماعيا و يتحقق هذا الهدف بصفه مبدئيه عن طريق التفاعل العائلى الذى يحدث داخل الأسره و الذى يلعب دورا هاما فى تكوين شخصيه الطفل و توجيه سلوكه.

و فيها طرق عدة يتطرق و يتعلم بها الطفل فى تنمية قدراته , ومنها عن طريق اللعبه مشاركه اخوانه فى لهوهم و مسراتهم و خبراتهم. و لا شك على أن مثل هذه المعاملات لا تكون خاليه عن التعبيرات السلوكيه و هى أساسها استعمال الألفاظ اللغويه فى تسميه الأشياء و الأفعال و غيرها.

ومن الضرورى ألا ننسى أن اللغة هى الوسيله التى تساعد الطفل على تكوين الذات باعتبار أن اللغة هى الأداة الأساسيه التى بدونها يستحيل على الطفل اكتساب اتجاهات الغير, وذلك بأن تنطوى الإشارات التى يستجيب لها الطفل فى مختلف المواقف على أنماط من سلوك الوالدين .

و سلوك الأسره يختلف بعضها عن بعض ذلك باختلاف النشاطات و الأعمال التى تقوم بها الأسره نفسها لأنها صادرة من بواعث أو دوافع داخلية متنوعه, فالأعمال و

نشاطات الأسرة في المستوى الثقافي الأعلى يختلف عن الأسرة في المستوى الثقافي المنخفض.

فلو قارنا مثلاً بين طفلين من أسرتين مختلفتين ثقافياً فنجد أن أحدهما يختلف عن الآخر. فالطفل الذي من المستوى الثقافي الأعلى يتأثر به و يرتقى معه و ذلك بحسب كثرة الموضوعات المتنوعة التي يتعامل بها هذا الطفل في أسرته. و بالطبع أن الألفاظ اللغوية لدى هذا الطفل خاضعة بدرجة عالية على هذه الحقائق. بينما الآخر لا يصل الى هذا الحد و ذلك يرجع الى أن الطفل في سنه المبكرة تتأثر بكثير على بيئة أسرته التي يعيش فيها. و يكون الأبوان يلعبان دوراً هاماً في قيادة هذه الأسرة. و قد نبأ ويرن بالير (Warren R. Baller) بقوله : " هناك دراسات علمية متعددة تكشف على الاتجاهات (Attitudes) المتشابهة بين الأبوين و الطفل في عمره المختلف , ففي سن الطفل المبكرة أن الطفل ينعكس بدرجة عالية من اتجاهات الأبوين".⁶

يتضح بأن نظام الأسرة نفسه يؤثر على الطفل فهو يتعلم كيف يعيش و فيه ينمو و تتكون شخصيته و عاداته و ما الى ذلك. و الإسلام قد قرر على هذا الأمر في قول الرسول صلوة الله عليه وسلامه: كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه.

و بناء على هذا يمكن القول بأن تأثير مستوى الأسرة الثقافي على نمو اللغة لدى الطفل لا يقتصر في الكم (Quantitative) فحسب , بل يتعدى على النوع لأن اكتساب الطفل للكلمات الإيجابية يتمشى مع الجو الثقافي لأسرته.

العامل الرابع : الطريقة التي يعامل بها الطفل

نقصد بما أهذه الطريقة قائمة على أساس عن العنف و الحرمان و الضغط وعدم اتاحة الفرصة التي تمكنه من اكتساب الخبرات , أم قائمة على أساس التفاهم و التشجيع. لأن للطفل نشاط كبير لا حد له فهو بفطرته يحب الحركة و الجري و العمل و يكره السكون و الخمول و الكسل , فالطفل العادي الصحي احياناً بطبيعته نشيط بفطرته فهو

⁶ .Warren R. Baller, The Psychology of Human Growth and Development, Rinehart, New York: 1961. P. 352

يشعر بأنه فيه حياة تكفى لأن يجعل كل ما يحيط به حيا، فقد يكون شيئا ثم يهدمه و
يغير حاله.

و أن التحديد على كل هذا النشاط تحديدا شديدا يؤدي الى إيقاف القدرة على
النمو اللغوي. وعلى العكس إن اعطاء الفرصة للطفل أن يقوم بنشاطه مع تشجيعه
بتزويد الطفل بكثير من اللعب و الأدوات المعدة له يؤدي الى ارتقاء المحصول اللغوي
لدى الطفل. لأن هذا النمو يتمشى مع نشاط الطفل نفسه. و اللغة هي المحور
الأساسي الذي يتركز عليه تلك اللعب.

و يستفاد مما قلنا سابقا أن أهمية التشجيع أو الإرشاد النفسى يأتي بكثير من النفع
في تنمية اللغة و تعليمها لغير الناطقين بها. فهو يلعب دورا هاما في تطبيع الدارسين على
اللغة الجديدة. و قد ذكر الدكتور سيد صبحى الزام المدرس أو المعلم في هذه المواقف أن
يتمتع بالصفات الآتية :

1. أن يكون قدوة حسنة محبوبا من الدارسين.
2. أن يكون متحمسا لعمله محبا له مستعدا لتحمل مسئولية، الإشتراك مع الدارسين
في جميع المناشط التي تتصل بأمور تعلم اللغة الأجنبية التي يقوم بها.
3. أن يكون قادرا على تقديم الخبرات اللغوية بطرق محبة، بعيدا عن الأساليب التي
قد تجعله يبدو قاسيا.
4. أن يهيئ للدارسين فرص الطمأنينة لكي يظهروا قدراتهم و امكاناتهم و آرائهم
بحرية.
5. أن يهيئ لهم فرصة ممارسة المحاولة و الخطأ و التعلم منها و أن ينمى لديهم اتجاهها
أساسيا من اتجاهات التعلم، وهو أن الخبرة التعليمية لكي تتكامل لا بد لها من
أن تخضع لهذا المبدأ.^٧

^٧. سيد صبحى (الدكتور)، الأسس النفسية لتعلم و تعليم اللغة، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية،
الخرطوم: 1979، ص. 27

منطلقا مما قد أشرنا اليه سابقا من عوامل نمو اللغة عند الطفل فخير ما نستفيد منه أن تكون هذه العوامل تقود الفكرة الى إعطاء الإهتمام الكبير في تعليم المهارات اللغوية، الإستماع، الكلام، القراءة، و الكتابة، فتكون هذه المهارات الأربع هدفا أساسيا في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

أولا : مهارة الإستماع

الى جانب أن الإستماع فن من فنون اللغة فإنه يعتبر مهارة هامة من مهارات الإتصال ضمن عملية التعليم و التعلم. فالمعلم يتحدث باستعمال اللغة المتعلمة ليستمع اليه الدارسون. ذلك لأنهم يحاولون أن يدركوا و يفهموا التوجيهات من قبل المعلم. و قد يكون الدارسون يصرفون النظر الى ما قدمه المعلم بعدم فهمهم على وجهات نظر المعلم. فمن هنا نعتبر أن الإستماع و الفهم مهارتان متكاملتان من مهارات اللغة التي ينبغي أن يتدرب المتعلمون عليها منذ بدء تعلمهم اللغة العربية لأهميتها في السيطرة على اللغة سيطرة وظيفية. فالإستماع كسلوك لغوي يجب تحقيقه و هو عبارة عن عملية الإنصات الى الرموز المنطوقة ثم ترجمتها و نقلها على أساس الفهم الى شكل الإستيعاب و التفسير و النقد من قبل المستمع. فالمتعلم حين يكون أمام المعلم في الفصل الدراسي فإنه ينتبه الى صوت المعلم و يتابع حديثه و توجيهاته لأنه يريد أن يفهم ما يقال له. و من الصعوبات اللغوية البالغة التي يواجهها المتعلم هي عدم الوصول الى مرحلة الفهم مما قد يكون سببه عدم الإستماع الجيد للغة المنطوقة. فهو في هذه الحالة إنما هو يستمع الى الرموز الصوتية كأن ليس له معنى و هنا يرتبك و يفقد القدرة على الحديث مع أن هذا أمر طبيعي في الإستماع. و يمكن التغلب عليها بتمكين المتعلم من مهارات التركيز من المعنى العام في الحديث.

فنعتمد الإستماع الذى يكون أسبق المهارات اللغوية الى الطفل أمرا ضروريا لضمان النجاح فى تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. فينبغى أن يتم تعليمه و تدريجه مبكرا. و عند تعلم اللغة العربية فثم خصائصها الصوتية التى تحتاج الى السيطرة عليها مثل تمييز صوت عربى جديد لم يكن موجودا فى لغة المتعلم الأم, التنغيم, و النبر و ما الى ذلك من النظام الصوتى. و هذا ما قاله فتحى على يونس : و نجد فى الكبير الذى يتعلم لغة جديدة يتحدث بها بلهجة أجنبية و يرجع كثير من هذه الصعوبات الى ثبت لدى الكبير من عادات الإستماع التى لم تجعله يلاحظ بدقة الفروق الدقيقة فى العناصر الصوتية و الإيقاعات بين كل من اللغتين فهو يسمع عناصر اللغة الجديدة كما لو كانت متماثلة مع عناصر لغته الأصلية.^٨

و لعلنا كثيرا ما نلاحظ أن المتعلم الأجنبى عندما يسمع أصواتا متشابهة لأصوات لغته الأم يميل الى أن يعطى هذه الأصوات تفسيرات مستمدة من لغته الأم. فمن الطبع أن يواجه الطالب الأجنبى كثيرا من الصعوبات الصوتية عند تعلمه اللغة العربية لأن فى هذا الموقف نجد كثيرا من اللغة العربية أصواتا متقاربة متشابهة, فهذه مشكلة من المشاكل اللغوية المفروض علاجها.

فأول واجب يقع على المعلم فى العملية التعليمية اللغوية بناء القدرة على الإستماع للغة العربية عند الدارس الأجنبى أن يعلمه أن يستقبل و أن يميز تلك الأصوات غير الموجودة فى لغته الأم (الأصوات المتقاربة و المتشابهة).

ثانيا : التحدث

^٨. فتحى على يونس (الدكتور), أساسيات تعليم اللغة العربية و التربية الدينية, دار الثقافة للطباعة و النشر, القاهرة : 1981. ص. 105

أما الفن اللغوى الثانى هو ما نسميه مهارة الكلام أو التحدث. و مستفيدا من الحديث عن النمو اللغوى عند الطفل مع كونها نطقية نجد أن لغة الطفل الكلامية فى مراحلها المبكرة تكون لغة غير منظمة و منسقة بالصورة التى تقابل النصوص اللغوية المكتوبة. إذ ان الخبرة اللغوية المبدئية للطفل تتمشى مع خبرة عقلية له. و لذا فاستخدامه لها لا يتعدى فهم بيئته و التفكير فى خبراته.

و نستخلص من هذا بأن مهارة الكلام فى حالتها الطبيعية أمر تتداخل فيه عناصر، منها : الأول " التفكير " كعملية عقلية و هو صياغة اللغة فى كلمات مترابطة ومعبرة لأفكار و المشاعر. فقد تكون هذه المهارة منصرفة عن النظام الصوتى و النظام التركيبى. و هذا يعنى أن تعبير اللغة شفويا ينطلق من التمكن لربط الكلمات و تنظيم تراكيبيها التى تساعد على إبراز المعنى المراد. الثانى " الصوت " كعملية حمل الأفكار و الكلمات عن طريق أصوات ملفوظة للآخرين من حيث أن الكلام مهارة انتاجية تتطلب من المتعلم القدرة على استخدام الأصوات بدقة. و الثالث " الحدث " أو الفعل كهيئة جسمية و استجابة.

و هذا قد دعانا الى تنمية القدرة الكلامية بتعويد المتعلمين العملية الكلامية حتى يتمكن إبراز أفكارهم و مشاعرهم بلغة منطوقة. و كذلك نقوم بتشكيل العادات الشفوية السليمة لاستخدام اللغة فى الكلام استخداما سليما من البداية المبكرة. و مما يجب على المعلم من خلال العملية التعليمية أن يهتم كل الإهتمام بالجوانب الخاصة وهى النطق، و المفردات، و نظام تركيب الجملة فى الكلام.

النطق

يتطلب تعليم النطق تعليماً صحيحاً منذ البداية المبكرة بقصد أن يسيطر المتعلم على إنتاج الأصوات بالشكل الذى يمكن المتعلم من الكلام مع أبنية اللغة العربية بصرف النظر عن الدقة الكاملة من إخراج الأصوات و النبرات و التنغيم. و لا يكون تعليم النطق منعزلاً عن تعليم الفنون اللغوية الأخرى. النظام الصوتى للغة يكون فى إنتاج صوتها و استخدام تنعيمها و إيقاعها و يجب تعليم هذه السمات اللغوية مع ربطها بالمهارات و الفنون اللغوية الأخرى فى الإستماع و القراءة و الكتابة و الحديث نفسه باعتبار أنه جزء لا يتجزأ منها.⁹

المفردات

ومن الأهداف لتعليم أية لغة أجنبية من ضمنها اللغة العربية هى تنمية الثروة اللفظية، ذلك ان هذه المفردات هى أدوات حمل المعانى كما أنها فى نفس الوقت وسائل للتفكير. و لعل الإستماع و القراءة فالكلام و الكتابة وسيلة فعالة لاكتساب و تنمية المفردات فى اللغة فمن الصحيح أن تعلم المفردات من خلال السياق كما يجرى ناجحاً على كيفية اكتساب الطفل للغة الأم. فلا ينبغي التركيز على تزويد الدارسين بثروة لفظية على قوائم مفردات منفصلة.

نظام تركيب الجملة

الجانب الآخر الذى يجب الإهتمام به من تعليم الكلام هو نظام الجملة الذى تجرى عليه اللغة. لأن اللغة (مكتوبة كانت أم ملفوظة) تحكمها مجموعة من القواعد لتركيب الجملة المفيدة. ومن حيث الدلالة التى يتفاهم أعضاء المجتمع يتضمنها التركيب. و هذه الدلالة نسميها " دلالة نحوية " فالجملة التى يبدأ بها الفعل مثلاً يختلف معناها

⁹ Mary Finocchiaro, Teaching English as a Second Language, Harper and Row, New York: 1958, P. 127

عن الجملة التي يبدأها الإسم كما أن التقسيم و التأخير كنظامين نحوين لهما معنا يختلف مع بعض وما الى ذلك.

ثالثا : مهارة القراءة

و أول ما يجب ادراكه من القراءة هو أن عملية القراءة ليست استجابات فسيولوجية لما مكتوب فحسب و إن هذه العملية تشمل على التفكير و الإستنتاج كما أنها تشمل أكثر من التعرف على الكلمات المطبوعة و تفسير الرموز المكتوبة التي يتلقاها القارئ عن طريق عينيه. و كذلك أن هذه العملية تتطلب ايضا فهم المعاني و الربط بين الخبرة و هذه المعاني.

و من هذا المفهوم أن القراءة تجمع نشاطين هما: (أ) تناول المادة المكتوبة تناولا صوتيا, و هذا قد يتم بصورة مقبولة من متحدثي اللغة. و قد نسمى هذا النشاط قراءة جهرية. (ب) محاولة استخراج المعنى من النص بشكل معقول من السرعة دون اللجوء الى القراءة الجهرية وقد نسمى هذا النشاط قراءة صامتة.¹⁰

القراءة أحد الأهداف الرئيسية لمعظم مناهج تعليم اللغة الأجنبية ضمن اللغة العربية باعتبار أنها مهارة أساسية من مهارات تعلم أية لغة أجنبية و كذلك نعتبر القراءة أداة للإتصال بالإنتاج الفكرى و الأدبى و الحضارى لأصحاب اللغة المتعلمة . فعلى المعلم أن يراعى من تعليم القراءة الخطة التالية بدقة . و هى التهيئة و الإعداد ثم التعريف بالكلمات و الجمل و ذلك أول محاولة لأخذ التلاميذ برموز الحروف المكتوبة و الربط بينها و و بين الأصوات و الألفاظ المنطوقة على نحو عرض كلمات سهلة على الدارسين و تدريبهم على النطق بها مع التركيز على ما يعرض من الكلمات

¹⁰ Wilga M. Rivers, Teaching Foreign Language Skills, The University of Chicago Press, USA: 1968, P.215.

و ذلك باضافة كلمة جديدة أو أكثر في كل درس لتزيد حصيلة الألفاظ التي سبق لهم تعلمها و تدريبهم على قراءتها و النطق بها مع استخدام الوسائل و الأجهزة المتنوعة التي تعين على تعليم القراءة و تدريب التلاميذ تدريباً كافياً حتى يثبت لديهم ما تعلموه.

ثم تأتي مرحلة التحليل و التجريد و ذلك بتجزئة الجملة الطويلة الى كلمات، والكلمات الى أصوات الحروف بهدف إدراك الدارسين أن كل كلمة أو جملة تتكون من أجزاء متعددة تختلف في نطق اللفظ و الرسم الكتابي و ذلك بتحليل الكلمة أو الجملة و تجزئتها الى عناصر و حروف. ثم تلى ذلك مرحلة التركيب و هو تكوين جملة جديدة من كلمات و ألفاظ سبق للدارسين معرفتها.

و يستبين من هنا ارتباط عملية القراءة و عملية الكتابة شديد الإرتباط. فتعليم القراءة يسير جنباً الى جنب مع تعليم الكتابة و أن التقدم في أحدهما يساعد على التقدم في أخرها.

رابعا : مهارة الكتابة

للتعبير الكتابي أهمية لا تقل عن أهمية المهارات التي مر عليها ذكرها، ويعتبر التعبير الكتابي من أهم أنماط النشاط اللغوي إذ بدونه قد لا تستطيع الجماعات أن تبقى في بقاء ثقافتها و تراثها، كما تعتبر القدرة على الكتابة هدفاً أساسياً من أهداف تعليم اللغة الأجنبية فمن وظائفها أن تكون وسيلة من الوسائل في تعلم و تعليم اللغة.

وإذا كانت الكتابة وسيلة من وسائل دراسة اللغة الأجنبية و ترقية المهارات اللغوية الأخرى فإنها في الوقت نفسه تعتمد على هذه المهارات و تستفيد منها فعن طريق الإستماع و القراءة و التحدث يكتسب الدارس قدرة على الاستخدام المناسب للغة المتعلمة و تراكيبها.

و مع أن الكتابة من أهم المهارات فإنها ليست مهارة بسيطة سهلة تعلمها و تعليمها بكونها تجمع نشاطين : نشاط حركي و نشاط فكري و هما معا يكونان المهارة الكلية للكتابة فالكاتب يسجل فكره و يجتهد ليعبر عن مختلف المشاعر و المفاهيم و الصور عن طريق الكلمات مسطرة على الورق. و لعل كثيرا منا نحن الأجانب المتعلمون للغة العربية كلغة أجنبية نلاحظ أن عملية التعبير الكتابي باللغة العربية تكون في شكل حلقات متسلسلة. ففي البداية يتم تحويل الصوت المسموع الى شكل مرئي متفق عليه. و نحن نجد أن هذا الشكل قد يختلف من لغة الى لغة أخرى مما يسبب صعوبات كبيرة في الكتابة. فالشكل العربي مثلا يختلف تماما عن الشكل الإندونيسي (اللاتني) . ثم تأتي الحلقة الأخرى من النشاط الكتابي عندما تصبح أكثر تعقيدا فتتضمن وضع الرموز المرئية تبعا للنظام المتفق عليه بين أصحاب اللغة، أى استخدام نظام تركيب الجمل في صياغة جمل.

هكذا على حد سواء المهارات اللغوية الأربع (الإستماع - التحدث - القراءة - الكتابة) نجعلها أهدافا رئيسية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها مستعينا بكيفية الطفل الطبيعية في اكتساب لغته الأم فلا ينبغي لنا ألا نلفت النظر الى عوامل نمو اللغة في الطفل باعتباره قد نجح في اكتساب اللغة. و مضافا الى ذلك ان اللغة كما نراها في الطفل واقعية ظهر فيها مظهر الفهم (الإدراك) و مظهر التعبير عن الأفكار و المشاعر فلا يجوز أن يغيب في ذهننا أن هناك قدرة اضافية تتطلب جهود جميع المسؤولين لتحقيق أهداف تعليم اللغة العربية . و لعل هذه القدرة تتمثل في عاملين, العامل اللفظي و العامل الأدبي و لعل كل هذه يؤدنا الى التمكن في انتاج الحصيلة اللغوية المحمودة وهي حصيلة الأخذ و العطاء على حد سواء إنشاء الله.

المراجع

1. حامد عبد السلام زهران (الدكتور), علم النفس النمو, عالم الكتب, القاهرة : 1977
2. فاخر عاقل (الدكتور), علم النفس التربوي, دار العلم للملايين, بيروت: 1985
3. فتحى على يونس (الدكتور), أساسيات تعليم اللغة العربية و التربية الدينية, دار الثقافة للطباعة و النشر, القاهرة : 1981
4. رسلان (الدكتور), كيفية الإستفادة من دراسة اللغة عند الطفل لتعليم اللغة العربية لغير أهلها. معهد الخرطوم الدولى للغة العربية, الخرطوم : 1986
5. سيد صبحى (الدكتور), الأسس النفسية لتعلم و تعليم اللغة, معهد الخرطوم الدولى للغة العربية, الخرطوم : 1979
6. مصطفى فهمى (الدكتور), أمراض الكلام , مكتبة مصر, القاهرة : 1975
7. Jean Grams, Fundation of Teaching , An Introduction to Modern Education. Holt Rinehart, London: 1964
8. Mary Finocchiaro, Teaching English as a Second Language, Harper and Row, New York: 1958.
9. Warren R. Baller, The Psychology of Human Growth ang Development, Rinehart, Yew York: 1961.
10. Wilga M. Rivers, Teaching Foreign Language Skills, The University of Chikago Press, USA: 1968